

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطفل . . . أمانة الأسرة ومسؤولية المجتمع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَرَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْذُ أَوَّلِ نَشَأَتِهِ، وَأَحَاطَهُ بِعِنَايَتِهِ فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحْكَمَ شَرْعَهُ، وَأَكْمَلَ نِعْمَتَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَقَامَ بُنْيَانَ الْأُسْرَةِ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَرَعَى الصَّغِيرَ، وَأَوْصَى بِهِ خَيْرًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَانْقُضُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَأَدُّوا إِلَى أَطْفَالِكُمُ الْحُقُوقَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَاحْفَظُوا لَهُمْ حُقُوقَهُمُ الدِّينِيَّةَ وَالْدُنْيَوِيَّةَ؛ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ. وَعَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْإِسْلَامَ أَوْلَى الطُّفُولَةَ عِنَايَةً خَاصَّةً، وَأَقَامَ حُقُوقَهَا عَلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَجَسَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْمَعَانِي قَوْلًا وَعَمَلًا، فَهَا هُوَ يُرْكَبُ خَلْقُهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى دَابَّتِهِ، فَيَعْلَمُهُ قَائِلًا: ((يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))، وَمِنْ هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ نُذِرُكَ أَنَّ رِعَايَةَ الطِّفْلِ أَمَانَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَمَسْئُولِيَّةٌ دِينِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ، أَوْجَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَرَسَى الْإِسْلَامَ دَعَائِمَهَا. أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ:

إِنَّ لِلطِّفْلِ فِي الْإِسْلَامِ حُقُوقًا تَبْدَأُ مِنْذُ لَحْظَاتِ وُجُودِهِ الْأُولَى، وَتُلَازِمُهُ فِي مَرَاجِلِ نَشَأَتِهِ كُلِّهَا، فَأَوَّلُهَا وَأَعْظَمُهَا حَقُّ الْحَيَاةِ، فَقَدْ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ كُلَّ اعْتِدَاءٍ عَلَى الطِّفْلِ، بِالْوَادِّ، أَوْ بِالْإِجْهَاضِ الْمَحْرَمِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ، أَوْ بِالْإِهْمَالِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى هَلَاكِهِ أَوْ الْإِضْرَارِ بِهِ؛ فَالطِّفْلُ نَفْسٌ مُكْرَمَةٌ، لَهَا حُرْمَتُهَا الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (١)، ثُمَّ كَفَّلَ لَهُ الْإِسْلَامُ حَقَّهُ فِي الرِّضَاعِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ صِحَّتِهِ، وَاسْتِكْمَالِ نُمُوهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ ^(١). وَكَفَلَ لَهُ حَقَّ النَّفَقَةِ، فَأَوْجَبَ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يُؤَقِّرَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ، وَمَشْرَبٍ، وَمَلْبَسٍ، وَمَسْكَنِ، وَعَدَّ السَّعْيَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْقُرْبَاتِ، فَقَالَ ﷺ فِي الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ يَطْلُبُ الرِّزْقَ: ((إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)). كَمَا صَانَ هُوِيَّتَهُ وَكَرَامَتَهُ، فَأَرْشَدَ إِلَى اخْتِيَارِ الْمَحْضَنِ الْأُسْرِيِّ، وَأَوْجَبَ أَنْ يُنْسَبَ الطِّفْلُ إِلَى أَبِيهِ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَحْسَنُهَا.

وَلَمْ يَفْتَصِرْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ عَلَى حِفْظِ حَيَاةِ الطِّفْلِ وَرِعَايَةِ جَسَدِهِ، بَلِ امْتَدَّ إِلَى بِنَاءِ شَخْصِيَّتِهِ، وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِ، وَتَنْمِيَةِ عَقْلِهِ؛ لِيَشَبَّ مُؤْمِنًا صَالِحًا، نَافِعًا لِنَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. وَمِنْ أَجْلِ حُقُوقِهِ التَّربِيَّةِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْقُدْوَةِ الْحَسَنَةِ قَبْلَ كَثْرَةِ التَّوْجِيهِ؛ فَإِنَّ الطِّفْلَ يَتَعَلَّمُ مِمَّا يَرَى أَكْثَرَ مِمَّا يَسْمَعُ، وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ قُدْوَةٍ فِي رَحْمَتِهِ بِالْأَطْفَالِ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ بِالْحِكْمَةِ وَالرِّفْقِ. وَمِنْ تَمَامِ هَذِهِ التَّربِيَّةِ الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا؛ فَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَايَا وَالْاهْتِمَامِ، صِيَانَةَ لِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَحْقَادِ، وَغَرَسًا لِلْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ شَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ حِينَ جَاءَهُ رَجُلٌ يُشْهَدُهُ عَلَى عَطِيَّةٍ خَصَّ بِهَا أَحَدَ أَوْلَادِهِ، فَقَالَ: ((أَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي؛ فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ)). وَمِنْ حُقُوقِ الطِّفْلِ كَذَلِكَ التَّعْلِيمُ النَّافِعُ، وَذَلِكَ بَأَنْ يُعَلَّمَ مَا يُصْلِحُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، وَيُنَمِّيَ عَقْلَهُ بِمَا يُنَاسِبُ فِطْرَتَهُ وَمَرَحَلَتَهُ الْعُمْرِيَّةَ، حَتَّى يَنْشَأَ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْخُلُقِ الْقَوِيمِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. كَمَا أَنَّ مِنْ حُقُوقِهِ الْأَصِيلَةِ أَنْ يُعَامَلَ بِالرَّحْمَةِ وَالِاحْتِرَامِ، وَأَنْ يُخَاطَبَ بِالرِّفْقِ، وَيُشْعَرَ بِقِيَمَتِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَاطَبُ الْأَطْفَالَ بِمَا يُرَبِّي عُقُولَهُمْ وَيُطَمِّنُ قُلُوبَهُمْ؛ لِيَنْشَأُوا عَلَى الثِّقَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ. فَلْيَحْذَرِ الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ مِنَ الْإِسَاءَةِ اللَّفْظِيَّةِ أَوْ الْجَسَدِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْقَسْوَةَ الْمُفْرِطَةَ تُورِثُ الْانْكِسَارَ أَوْ الْعِنَادَ، وَكِلَاهُمَا شَرٌّ، وَلْيَحْذَرُوا كَذَلِكَ مِنْ إِرْهَاقِ الطِّفْلِ بِكَثْرَةِ الْوَاجِبَاتِ وَالْإِلْزَامَاتِ دُونَ مُرَاعَاةِ حَاجَتِهِ إِلَى الرَّاحَةِ وَاللَّعِبِ؛ فَإِنَّ التَّزْوِيحَ الْمُبَاحَ حَقٌّ يُعِينُ عَلَى اكْتِمَالِ نُمُوِّ الطِّفْلِ، وَيُوزِنُ شَخْصِيَّتَهُ، وَيَهَيِّئُهُ لِتَحْمُلِ مَسْئُولِيَّاتِ الْحَيَاةِ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُرَبُّونَ -، وَأَدُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي اسْتَرْعَاكُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَاصْبِرُوا عَلَى ذَلِكَ وَصَابِرُوا مُبْتَغِينَ فِي ذَلِكَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ.



أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** ** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاهِبِ النِّعَمِ، ذِي الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ دَوْرَ الْمُجْتَمَعِ فِي حِمَايَةِ الطِّفْلِ وَرِعَايَةِ حُقُوقِهِ لَا يَنْفَكُ عَنْ دَوْرِ الْأُسْرَةِ؛ فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَ هُوَ الْحَاضِنَةُ الْكُبْرَى لِلْأُسْرِ، مِنْ هُنَا كَانَتِ الْمَسْئُولِيَّةُ عَنِ الطِّفْلِ وَحُقُوقِهِ مَسْئُولِيَّةَ جَمَاعِيَّةٍ، مَسْئُولِيَّةٌ تَقْتَضِي حِمَايَةَ الْأَطْفَالِ مِنَ الانْحِرَافِ بِشَتَّى أَنْوَاعِهِ، وَمِنْ مَخَاطِرِ التَّقْنِيَّةِ، وَرُفَقَاءِ السُّوءِ وَغَوَايَتِهِمْ. وَمِنْ حُقُوقِ الطِّفْلِ الَّتِي لَا يَقُومُ بِهَا غَيْرُ الْمُجْتَمَعِ: حَقُّ الْيَتِيمِ وَالْمُحْتَاجِ، فَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كِفَالَةِ الْيَتِيمِ فَقَالَ: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ))، وَأَشَارَ بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِيهَا، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ وَالْأُمَّةَ مِنْ وَرَائِهِ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ^(١)، وَدَعَا أَهْلَ الْيَسَارِ وَالْغِنَى فِي الْمُجْتَمَعِ إِلَى أَنْ يُنْفِقُوا مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاهُمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ^(٢)، فَلْيُنْفِقْ أَهْلُ الْمَالِ أَمْوَالَهُمْ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ عِلْمَهُمْ، وَأَهْلُ الْجَاهِ جَاهَهُمْ، وَلْيُسَخِّرُوا كُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ رِعَايَةِ أَطْفَالِ الْمُجْتَمَعِ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَلْتَذَكِّرُوا أَنَّ طِفْلَ الْيَوْمِ هُوَ رَجُلُ الْغَدِ وَعِمَادُ الْمُجْتَمَعِ، وَأَنَّ صَلَاحَ الْمُجْتَمَعِ يَبْدَأُ مِنْ إِحْسَانِ تَرْبِيَةِ الصِّغَارِ وَإِصْلَاحِهِمْ، فَلْنَتَكَتَفِ جَمِيعًا مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ أَفْضَلِ لِبْنَانِنَا وَأُمَّتِنَا، وَهِيَ دَعْوَةٌ إِلَى جَمِيعِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَلَنَا جَمِيعًا، أَنْ نُرَاجِعَ أَسَالِيبَنَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَأَنْ نَصْقِلَ مَهَارَاتِنَا فِي التَّرْبِيَةِ مَعَ التَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّفْقِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الْهَادِي الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ^(٣).

(١) الضحى: ٩

(٢) البقرة: ٢١٥

(٣) الأحزاب: ٥٦



اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً، وَالسَّيِّئَةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حُكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.